الأدارة العامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العددان التاسع والعاشر - المجلد الثالث - ١٤١١/١٩٩١/

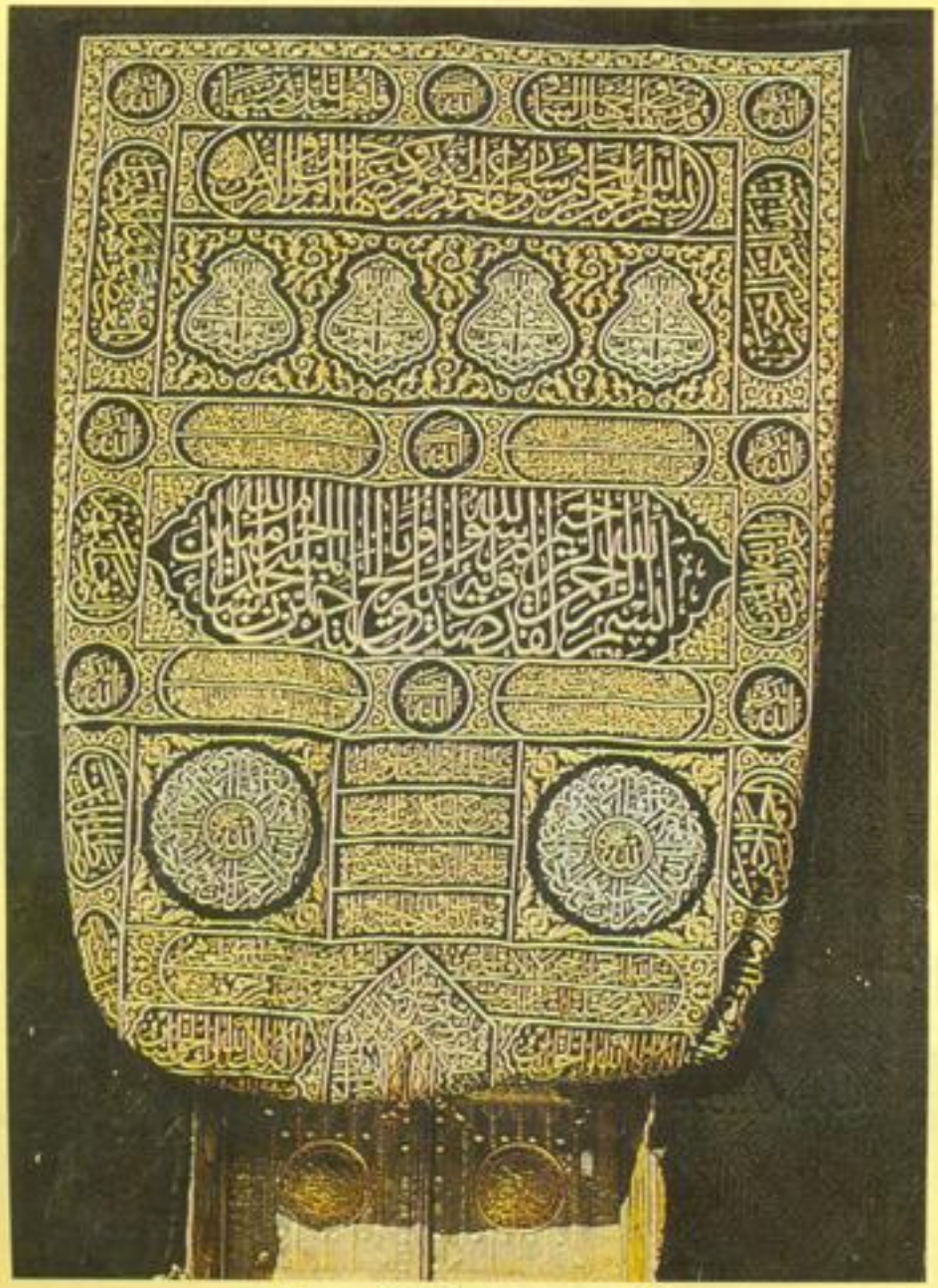

كسوة الكعبة الشريفة

(٩-١٠)

خازن المعلومات
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموسم

فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة

Shiabooks.net

تصدر عن دار الموسم للإعلام
بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

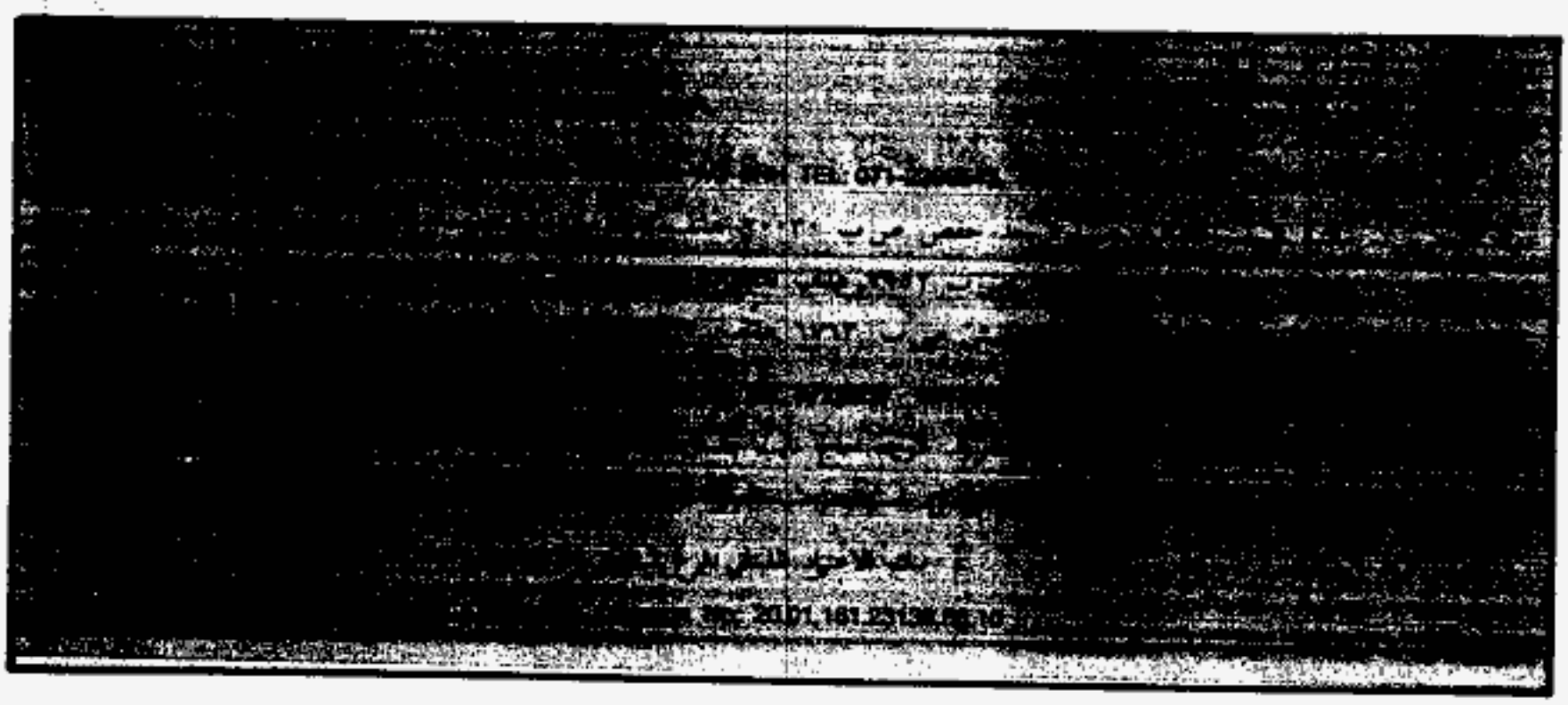

مساهمة النجف في التصدي للعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦

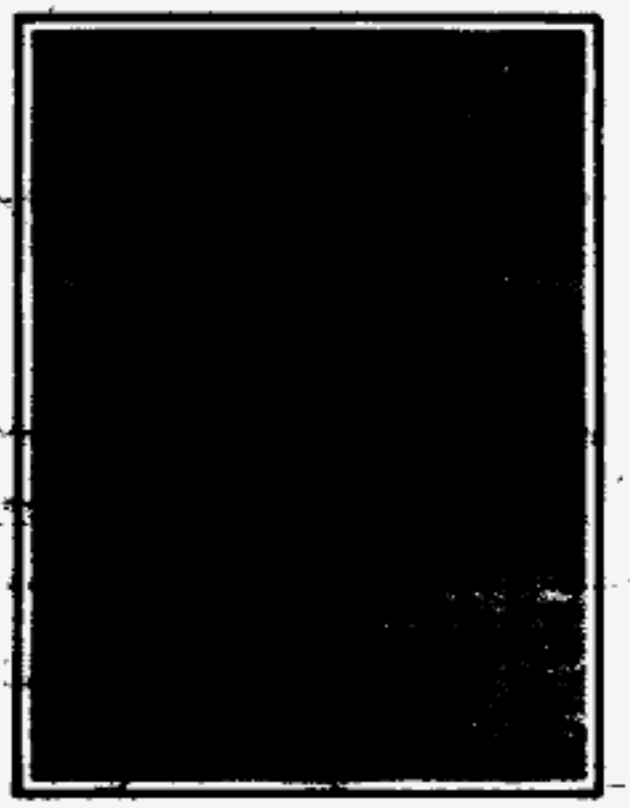

كما يرويها شاهد عيان

الأستاذ أحمد الحبوبي
يدلي بذكرياته عن الأحداث

النجف مدينة مشهورة غنية عن التعريف بدأ نجمها يسطع منذ اللحظة التي احتضن ثراها المقدس جسد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أصبحت مطمح أنظار المسلمين ، وبرغم التعمية التي لجأ إليها شيعته في اخفاء مكان دفنه خوفاً من عدوان الأمويين والعباسيين إلاّ أنهم ما انفكوا يزوروا ويتبركوا القبر الشريف خفية وفي منأى عن عيون السلطات إلى أن شيدت القُبة على قبره واشتهر أمره «بناها الرشيد العباسي على أحسن الأقوال» فاتجه إليه الشيعة رغبة بمجاورته والحياة في كنفه وقصده العلماء والحكماء والأدباء من كل حدب وصوب فصارت النجف عاصمة العلم والمعرفة ومركزاً تجارياً هاماً ، يقصدها المسلمون من أقاصي الدنيا للدراسة في حوزتها العلمية حيث المرجعية الكبرى وفي عشرات المدارس التي أسست لهذا الغرض وشاع صيتها وامتد أمدها ، وقد استحوذت على خاصتين مميزتين انفردت بهما من بين مدن العالم :

(١) ـ المدينة الدينية لا باعتبارها مرقداً للامام علي عليه السلام وحسب ، بل لانها مقر المرجعية الدينية للعالم الشيعي بلا منازع حيث تخرج منها الفتيا في أخطر ما يواجه المسلمين من فتاوى وأحكام في حيواتهم الدينية والدنيوية .

(٢) ـ المدينة السياسية : ويتضح ذلك حديثاً بقيادتها للصراع بين حزبي المشروطة والمستبدة في إيران وامتدت جذور الصراع إلى العراق ، وكذلك يتضح بدورها الكبير ضد سياسة

التتريك أيام الحكم العثماني والرد على عنجهية الولاة الأتراك ، وفي الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ م قادت النجف بزعامة علمائها الاجلاء جيوش الجهاد للدفاع عن بيضة الاسلام أمام غزو الانجليز العراق ، وبعد هذه الحادثة بسنين قليلة ظهر فيها أول عصيان ضد الحكم الانجليزي في العراق وهو ما يسمى بثورة النجف حيث ثارت المدينة بقيادة جمهرة من رجالاتها فاحتلوا السراي وقتلوا الحاكم الانجليزي الكابتن مارشال ، وتتالت الأحداث مسرعة حيث أعلن منها واستناداً لفتاوى علمائها ثورة العشرين في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠ م ـ الشهيرة ـ والتي أدّت إلى قيام دولة العراق الحديثة وتشكيل حكومة وطنية بقيادة الملك فيصل الأول سنة ١٩٢١ . ومواقف (النجف) ابان الحكم الوطني معروفة فما أن أعلن عن النية في انتخاب مجلس تأسيسي حتى بادرت إلى الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات لأسباب كثيرة مما أدى إلى نفي بعض من زعمائها الاجلاء إلى إيران ولم يهدأ لها بال إلى أن أُعيد بعضهم إلى النجف ، وعند ابرام اية معاهدة مع بريطانيا أو تشكيل مجلس أو حكومة تكون النجف محط أنظار العراقيين ليعرفوا رأيها في هذا الحدث أو ذاك فمنها تخرج الموافقة أو الرفض ومنها تنطلق شرارة الثورة وتعم أرجاء الفرات الأوسط وباقي أنحاء العراق .

وأروع ما كان يجري ذلك الانسجام الرائع بين رجال الدين في النجف وشيوخ القبائل العربية التي تسكن الفرات ، والوشائج التي تربطهم ببعضهم لاعلاء شأن الدين والوطن ، وأضع هنا إشارات على الطريق وصولاً إلى عام ١٩٥٦ :

انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ وحركة مايس عام ١٩٤١ وقد عرفت هذه الحركة باسم حركة رشيد عالي الكيلاني وقد ساندها علماء النجف الأشرف بفتاواهم وتأييدهم . ثم انتفاضة عام ١٩٥٢ . وكل هذه الأحداث كُتب عنها الكثير ولم يغفل دور النجف منصف ، ونأتي الآن إلى أحداث العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ودور النجف فيه ، ودون الدخول في التفاصيل التي أدت إلى هذا العدوان فكلّنا يعرف ان سحب التمويل الذي كان مؤملاً أن يقدّمه صندوق النقد الدولي (بإشارة من أمريكا) لبناء السد العالي في مصر مما دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس ـ وهي شركة يملك أكثر أسهمها بريطانيا وفرنسا ـ وجُنّ جنون هاتين الدولتين ومعهما أمريكا التي كانت تريد أن تروّض (عبد الناصر) لسياستها . فبريطانيا التي كان يرأس وزارتها رجل مريض مغرور وهو (انتوني ايدن) الذي شعر أن كرامة بريطانيا في الحضيض بعد هذا التأميم خصوصاً وإن هذه الخطوة جاءت بعد موقف (عبد الناصر) حيال حلف بغداد التي رعته بريطانيا وتأليب العرب ضده . وفرنسا ويرأس وزراءها رجل عجوز (جي بوليه) يحقد هو وحزبه الاشتراكي على عبد الناصر لنصرته ثورة الجزائر وتأييده لها .

واسرائيل لا تحتاج إلى تبرير لتكون شريكاً في عدوان مسلّح على عدو تحسب له ألف حساب .

وقد نجح عبد الناصر أن يجتاز الخطوط الحمراء واشترى السلاح من جيكوسلوفاكيا فكانت مصر أول دولة عربية بل ومن العالم الثالث تخرج من طوق العالم الغربي الذي احتكر بيع السلاح الذي يريده والكمية التي يقدرها .

والتقى الثلاثة بريطانيا وفرنسا واسرائيل ووضعوا خطة الهجوم على مصر كل مدفوع بأهدافه ، واستيقظ العالم صبيحة يوم ١٩٥٦/١١/٢٩ على هجوم جوي بريطاني فرنسي على مطارات مصر في سيناء وعلى مدن القناة وفي مقدمتها مدينة بور سعيد وذلك للتمهيد للقوات الاسرائيلية أن تجتاح سيناء بجيشها ، فقاومت القوات المصرية وهبَّ الشعب المصري للدفاع عن وطنه وسيادته ، والتحم الجيش والشعب ، وخطب عبد الناصر خطبته المشهورة في الجامع الأزهر «إننا سنقاتل ، سنقاتل . . ولن نستسلم» ووقف العالم شاجباً هذا العدوان الآثم ، وكان للمقاومة المصرية الباسلة في مقاومة العدوان أثرها الفعّال في رفع معنويات شعوب العالم الثالث ومنها البلاد العربية المبتلاة بحكومات عميلة . وكان لإذاعة صوت العرب دورها البارز في اذكاء روح التحدي العدوان خاصة رئيسها أحمد سعيد وهو يوجّه نداءه بصوته المبحوح مخاطباً المواطن العربي «أخي العربي في كل مكان . . في المغرب في تونس في العراق في عمان في المدينة أو في

الصحراء هذا يومك . .» ويومها كان (نوري السعيد) رئيساً لوزراء العراق وكان له دوره البارز في إقامة حلف بغداد الذي ضمَّ كلاً من العراق وإيران وتركيا وباكستان وبريطانيا وتتعاون معه أمريكا عسكرياً . وقد قاوم الشعب العراقي انعقاد هذا الحلف الذي سُمّي باسم عاصمته (بغداد) وتصدّت الأحزاب السياسية لبيان ما يلحق العراق من أضرار جسيمة من هذا الحلف مما دفع (نوري السعيد) إلى استعمال كل الوسائل غير المشروعة من تجميد للأحزاب ، وحجب للصحف ، واعتقالات ، وحل للمجلس النيابي ، واجراء انتخابات مزيفة لكي يضفر بجوّ يستطيع فيه عقد هذا الحلف وقد نجح ، ولم يسلم هذا الحلف من هجوم مصر وأجهزتها الاعلامية ، وفي مقدمتها (صوت العرب) التي جنّدت كل طاقاتها للتنديد به والدعوة إلى عدم الدخول فيه (كانت الأردن مرشحة للدخول فأحجمت بعد أن اجتاحتها مظاهرات عارمة منددة بالحلف وداعية إلى إلغائه) .

في مثل هذا الجو حصل العدوان الثلاثي يوم ١٩٥٦/١١/٢٦ فنظم طلاب الكليات العراقية (لم تكن الجامعة قد انشأت بعد) مظاهرات سارت في شوارع بغداد منددة بهذا العدوان الغاشم واستلم الشعب زمام المظاهرات والمسيرات ومع بغداد كانت النجف ، ففي صبيحة ذلك اليوم تجمهر طلاب ثانوية الخورنق في ساحة المدرسة ورفضوا الدخول إلى الصفوف والكل ينتظر إشارة البدء فتقدم الطالب **مهدي محسن بحر** (طالب من شباب حزب الاستقلال) فهتف بسقوط بريطانيا وفرنسا والموت لاسرائيل ، وردد الطلاب وراءه الهتاف ، وتعالت الهتافات من هنا وهناك لا تنديداً بالعدوان فحسب وإنما أيضاً بسقوط نوري السعيد وحكومته واستبدّ الحماس فارتفع هتاف بسقوط الوصي ، وبعد أن تم تحشيد

الطلاب في فناء المدرسة اتجهوا إلى الشارع دون مقاومة من أحد ولم تنفع محاولات مدير المدرسة أو بعض المدرّسين في أثناء منع الطلاب من الخروج في المظاهرة ، وفي متوسطة السدير حصل نفس الشيء وانضّمت جموع غفيرة من أبناء الشعب إلى المظاهرة فقد كانت النفوس مهيأة وهكذا كلما سارت المظاهرة في طريقها انضم إليها جموع من عمال وكسبة وعندما وصلت المظاهرة إلى الميدان الكبير كانت تضم الألوف من المتظاهرين واتجهت المظاهرة نحو السوق الكبير الذي بادر أصحاب الدكاكين والمتاجر إلى غلق أبوابها احتراماً لمشاعر المتظاهرين وتجاوباً مع هتافاتها وقد اشترك منهم كثير ، وكذا فعل روّاد المقاهي فصارت المظاهرة بحق تمثّل كل طبقات المجتمع النجفي فبعد أن فجّرها الطلاب تلقفها الأهالي بجموعهم وساروا فيها جنباً إلى جنب الطالب والمعقّل والمعمم والعامل والكاسب انتصاراً لمصر وهي تتعرض لعدوان غاشم وشجباً لموقف حكومة (نوري السعيد) المُخزي ، وتعرضت هذه الحكومة لحرج شديد إذ أن تحليقتها بريطانيا مشتركة في العدوان ، ثم أن كراهية نوري السعيد لجمال عبد الناصر غير خافية على أحدٍ من أبناء الشعب لذا بادرت حكومة نوري السعيد إلى تجميد عضوية بريطانيا في حلف بغداد وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا حتى تمتص غضب جماهير الشعب والحدّ من سيل المظاهرات التي اجتاحت العراق ، وأسهمت إذاعة بغداد في تهييج مشاعر الناس وذلك بسبب برامجها السمجة ففي الوقت الذي كان فيه شعب العراق يتوق إلى سماع أخبار العدوان وسير المعارك التي كانت محتدمة في سيناء ومدن القناة إذا بإذاعة بغداد لا تذيع من

بطاقة شخصية :

● أحمد بن السيد عبد الهادي الحبوبي ، أسرة آل الحبوبي العلمية العريقة الممتدة الحجاز والعراق ، وعمه المجاهد الأكبر المجتهد السيد محمد سعيد الحبوبي .

● ولد في محلة الحويش بالنجف ١٩٣٣ وأكمل فيها دراسته الثانوية ثم دخل الحقوق ـ بغداد وتخرج منها عام ١٩٥٥ و محامياً كما مارس العمل السياسي منذ صغر

● عمل رئيساً لفرع حزب الاستقلال النجف وممثلاً لجبهة الاتحاد الوطني في الن (وكان مقرها بغداد) .

● بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأثناء الا بين الشيوعيين والقوميين اعتقل في س غريب وبعد فترة ستة أشهر استطاع الهر السعودية ومنها إلى مصر عام ١٩٥٩

● أكمل في مصر دبلوم الشريعة الاسلامي ١٩٦٣ وبعد اندلاع ثورة (١٤ رمضان) ف السنة عاد إلى العراق وأسس مع بعض أص الحزب العربي الاشتراكي .

● استيزر مرتان ، مرة في عهد الرئي عبد السلام عارف (وزيراً للشؤون البلد والقروية عام ١٩٦٥) ، ومرة في عهد الرئي عبد الرحمن عارف (وزيراً للعمل والشؤو الاجتماعية عام ١٩٦٧) وفي الحالين استق لعدم انسجامه مع الحكومات المذكورة .

● بعد ثورة ١٩٦٨ اعتقل مرتان ، مرة في الثورة وأخرى عام ١٩٧٠ وبعد الافراج عنه المرة الثانية اختار العيش خارج العراق ـ جمهورية مصر العربية ـ وما يزال فيها منذ ١٩٧٠ .

هذه الأخبار إلاّ النزر اليسير ثم تسهب في إذاعة ثورة الشعب الهنگاري على حكومته وتعيرها الاهتمام الكبير لصرف الأنظار عن العدوان الثلاثي على مصر العزيزة ، وكان لهذا الموقف أثره البالغ في تهييج مشاعر الشعب الذي انصرف كله إلى سماع الأخبار ومتابعتها من إذاعة صوت العرب ومديرها أحمد سعيد بأسلوبه الحماسي .

ونعود إلى المظاهرة النجفية التي اخترقت السوق الكبير واستقرت في الصحن العلوي الشريف وتناوب الخطباء والشعراء من كل لون يندون بالعدوان ويطالبون بإسقاط حكومة

الأمير عبد الاله

نوري السعيد والوصي عبد الإله ، وتمكين الجيش العراقي والمتطوعين للوقوف مع مصر في معركته المقدسة ضد هذا العدوان ، وقد استغرقت المظاهرة اليوم كله ، وفي اليوم الثاني استمرت المظاهرات أيضاً وبصورة تلقائية بعد أن تعطّلَت الدراسة وسارت مظاهرة لم تشهد النجف لها مثيلاً استمرت المظاهرات من حيث الحجم والاستعداد ، وكان هذا اليوم يختلف عن سابقه فقد ظهرت في الشوارع قوات الشرطة موزعة هنا وهناك ، وعلى رأس كل مفرزة مفوض أو ضابط شرطة وكان الجو يُنذر بوقوع شيء ما ، وهذا ما حصل فعلاً بعد أن وصلت المظاهرة الحاشدة إلى الميدان الكبير فتصدت لها قوات الشرطة ففرَّ منها من فرَّ ناجياً بنفسه وتماسك الكثير ، وكان حزب الاستقلال يقود المظاهرات وكنت في مقدمة المتظاهرين ثباتاً وتحمساً وتحدياً للشرطة ، ولما كانت المظاهرة سلمية ولا يحمل المتظاهرون أية أسلحة فقد لجأنا إلى الحجارة نردُّ بها على رصاص الشرطة ! وكانت المظاهرة محشورة في الميدان بينما قوات الشرطة قد سيطرت على كل منافذ الطرق والأزقة وأهمها مدخل السوق الكبير لتمنع المظاهرة من الدخول فيه ومن الوصول إلى الصحن العلوي الشريف .

ولا أنسى منظر طلاب في عمر الورود ورجال شجعان يواجهون الرصاص بلا مبالاة وأتذكر منهم كل من :

«مهدي محسن بحر ، حسين كمونة ، علي كمونة ، عبد الأمير مْدَيِّد ، حسون مديّد ، عبد الأمير عمارة ، حمد الوائلي ، سمير الحلو ، أمير الحلو ، باقر السلامي ، جواد الغراوي ، خضر الساعدي ، جودي الساعدي ، باقر الفاضلي ، حاتم راضي ، خضير العنبوري ، محمد الحبوبي ، علي الحبوبي ، محسن البهادلي ، عبد الأمير الوائلي ، كاظم المقرّم ، محمد علي المقرّم ، حسن الجصّاني ، حسين الجصّاني ، صادق الجصّاني ، علي الحلو ، هاشم الطالقاني ، فاضل مرضي ، عبد الاله النصراوي ، عباس الجابري ، كاظم كلو ، عزيز الشيخ راضي ، جبر الحداد ، مفيد الجابري ، جعفر الطيار ، فاهم العامري ، عبد الرسول العبايجي ، عبد الأمير الطُّرفي .»

وقد أثنى كل منهم ركبته على الأرض وأخذ يُهدِّف (ينيشن) قبل أن يرمي الحجارة حتى لا تطيش غير عابىء بالرصاص المنهمر من كل

جانب ، فتراجع الشرطة أمام هذا الزخم والصمود ، واستطعنا الدخول إلى السوق الكبير فلاحقنا الشرطة برصاصهم وأصيب الكثير من شبابنا مما أجبر المتظاهرون على الدخول في الازقة المتفرعة من السوق الكبير واختبئوا فيها ثم انقضّوا على الشرطة الذين يلاحقونهم ففروا منهزمين وعادت المظاهرة وسيطرنا على الموقف فواصلنا المسيرة حتى الصحن الشريف ، وكانت معركة حقيقية مع قوات الشرطة بين كرّ وفر .

وفي اليوم الثالث بادرت قوات الشرطة ومنذ الصباح إلى تطويق مدرستي الخورنق والسدير ومنعت الطلاب من الخروج وكان مدير شرطة النجف على رأس هذه القوات وقد أعطى أمراً باطلاق الرصاص على المتظاهرين . ولما كان الطلاب قد صمموا على الخروج تصدت لهم قوات الشرطة وأطلقت نيران بنادقها عليهم فاستشهد في هذا اليوم : الطالب الشهيد أحمد علي الدجيلي من طلاب مدرسة الخورنق . والطالب الشهيد عبد الأمير الشيخ راضي (سبط العلامة السيد حسين الحمامي) من طلاب مدرسة السدير .

وكان لاستشهادهما الأثر البالغ في تهييج الجماهير فانطلقت المظاهرات بشكل عفوي في كل شوارع النجف .

أما الشرطة فقد اقتحمت مدرسة الخورنق ولاحقت الطلاب فيها من فصل إلى فصل حتى السطوح التي اعتصم فيها عدد كبير من الطلاب كانوا يذودون عن أنفسهم بما يقع بين أيديهم من حجارة وغيرها ليردّوا الشرطة على أعقابهم وكان من ضمن الطلبة المحاصرين أخي محمد الحبوبي من طلاب الاعدادية وغيره من الطلاب الذين بقوا محاصرين في المدرسة إلى الليل حيث أخرجهم قائمقام النجف .

واستنفر الشارع النجفي كل قواه للتظاهر ضد الحكومة وتحدي القوة العسكرية التي فرضت على النجف عقيب هذه الأحداث الدامية ، والتحمت مع الشرطة في أماكن عديدة في السوق الكبير والميدان وسوق (المسابك) وعقد (اليهودي) وغيرها وسقط من المتظاهرين أربعة قتل أحدهم من آل الصايغ وجُرح من الشرطة عدد كبير ، ووضعنا الشهداء الأربعة في عربة ثم حملوا في مظاهرة عارمة إلى

بيت الإمام السيد محسن الحكيم في محلة العمارة حيث وضعنا جثث الشهداء على باب داره وكان منظراً مؤثراً .

وانقلبت الأوضاع وسيطر الناس على مقاليد الأمور وأغلقت الحوانيت أبوابها في السوق الكبير وسوق الحويش وسوق العمارة ، وكل دكاكين الشوارع ولم يبق دكان لبقال أو خبّاز أو قصاب أو أيّ بائع لم يغلق أبوابه تضامناً مع الحركة ضد الحكومة . فاختفى رجال الشرطة من الشوارع ولجأوا إلى السرايا وأغلقوا عليهم الأبواب خوفاً من غضب الجماهير ، وشكلّت لجنة لإدارة شؤون البلدة وتيسير أمور المظاهرات والاحتجاج والحفاظ على أمن الناس ، وكان أحد أعضائها المرحوم الشيخ أحمد الجزائري نجل آية الله الشيخ عبد الكريم الجزائري .

وتقتضي الأمانة أن أبيّن نوعية القيادة السياسية التي كانت وراء كل هذه الأحداث مظاهرات ومسيرات وغيرها . والنجف شأن كل المدن المهمة في العراق كان للأحزاب السياسة العلنية والسرية فيها وجود مؤثر ، ومنها الحزب الشيوعي العراقي ، وحزب البعث العربي الاشتراكي ، أما الحزب الذي كان له وزنه الكبير فهو حزب الاستقلال الذي كنت أمثله في النجف وكان يضم أغلب طلاب المدارس وبعض نقابات العمال وكثير من الكسبة والمعلمين والمثقفين حيث كوّن قاعدة شعبية عريضة يعتدّ بها ويعتمد عليها وكان حزب الاستقلال إذا أراد تسيير مظاهرة أو إقامة احتفال بمناسبة ما أوعز إلى فرعه في النجف للقيام بها أولاً ثم تتبعه فروع الحزب الأخرى في باقي أنحاء العراق* .

هكذا كانت الساحة السياسية في النجف بأغلبيتها الاستقلالية ـ القومية ـ إبان اندلاع تلكم الأحداث فهو الذي كان مسؤولاً عن هذه المظاهرات التي نتحدث عنها الآن ، فقام بإخراجها وتوجيهها والسيطرة عليها ، ولما تداعت الأمور وانفجر الموقف وبلغ حدّ الصدام المسلّح ولعلع الرصاص انسحب الحزب الشيوعي وحزب البعث من الميدان وبقي حزب الاستقلال لوحده يقود المظاهرات واذكر المرحوم موسى التتنجي (شيوعي) كان قد تمرّد على أوامر حزبه بالانسحاب وبقي معنا يشارك في الصدامات مع الشرطة .

ثم وضعت اللجنة المؤسسة المذكورة سابقاً خطة للتحرك والاستنجاد برجال الدين الاعلام وزجهم في معركة النجف فذهبت إليهم واستطاعت أن تستصدر منهم برقيات احتجاج شديدة وعنيفة موجهة إلى كل من الملك والوصي ونوري السعيد .

وهكذا أبرق كل من مراجع الطائفة : السيد محسن الحكيم ، والشيخ عبد الكريم الجزائري ، والسيد حسين الحمامي إلى الملك برقيات شديدة اللهجة ، واذيعت في نفس اليوم من اذاعة صوت العرب من القاهرة .

وكان لهذه البرقيات دوي هائل لا في أوساط النجف فحسب بل وفي كل أنحاء العراق وباقي أنحاء العالم العربي والاسلامي ، وأخذت الاذاعات العربية وغير العربية تبثها لاستنهاض همم شعوب الامة العربية والاسلامية وذلك لمعرفتها بمدى تأثير هذه البرقيات الاحتجاجية الصادرة من علماء دين أعلام ، لهم ثقلهم ومكانتهم في العالمين العربي والاسلامي .

* حزب الاستقلال : حزب سياسي عراقي ، قومي الاتجاه أسس عام ١٩٤٦ ومؤسسه المرحوم محمد مهدي كبه وصديق شنشل وفائق السامرائي ، أول مسؤول له في النجف المحامي فاضل معلة ، لكنه سرعان ما ترك حزب الاستقلال متحولاً الى حزب الأمة ، فاختير المحامي احمد الحبوبي رئيساً لحزب الاستقلال في النجف بدلاً منه . ومن أعضاء حزب الاستقلال في النجف : الشيخ احمد الجزائري ، محسن البهادلي ، محمد حسين المقرم ، المحامي عباس الجابري ، حاتم الحاج راضي وغيرهم .

وفعلاً تأثرت مدينة الموصل بموقف العلماء الأعلام وبالمظاهرات والاضرابات المستمرة في النجف دون توقف وحاولت أن تحاكيها بقدر ما تستطيع ولكن سرعان ما أحبطت بالقوة العسكرية وظلت النجف لوحدها تلكم الأيام العصيبة تتحدى حكومة نوري السعيد ، مصر تقاتل في بور سعيد ومدن القناة وتقاوم الغزاة والنجف من الطرف الآخر تقاتل لوحدها وبإمكانات شعبها وطاقاتهم المحدودة . وكان من مهمات اللجنة المشكلة لإدارة العلميات ما يلي :

١ ـ استمرارية التظاهرات والاضرابات لأطول وقت ممكن لعل مدناً عراقية أخرى تحذو حذو النجف في ذلك .

٢ ـ استمرار غلق أسواق وحوانيت النجف (عدا المخابز) ورفض بيع وشراء أيّة سلعة مهما كانت ، تضامناً مع الشعب المصري وإحراجاً للحكومة وليشعر الناس بجدية العمل الوطني .

٣ ـ المحافظة على أمن النجف ومنع أيّة تجاوزات قد تحصل من جراء غياب قوات الأمن قد يستغله بعض ضعاف النفوس ولكن أمراً من هذا لم يحدث قط ، وكان كل النجفيين في مستوى القضية وأهميتها .

٤ ـ مواصلة الاتصال برجال الدين الأفاضل وعدم الانقطاع عنهم وتزويدهم أولاً بأول بكل المستجدات لتبقى الصلة قائمة بينهم وبين الشعب .

وهكذا تتالت الأيام على هذه الصورة ، اضراب شامل عام يصحبه غلق الأسواق والحوانيت ، تجمعات وتظاهرات مستمرة في الشوارع ، ورفع اللافتات المتضمنة لمطاليب الشعب (سقوط الحكومة ـ تشكيل حكومة وطنية ـ الانسحاب من حلف بغداد ـ مساندة مصر في معركتها ـ محاكمة العملاء والمجرمين ممن تسبب في قتل الأبرياء) وغيرها من المطاليب .

وعبثاً حاولت بغداد من جانبها ان تحتوي الأزمة وكانت الاتصالات الهاتفية مستمرة بينها وبين رجالاتها في النجف لمعالجة الموقف المتدهور دون جدوى .

وأخيراً أوعزت الحكومة الى متصرف كربلاء (المحافظ) المرحوم حسين السعد ان يستدعي مشائخ اطراف النجف وأحيائها لكي يتولوا هم مهمة قمع المظاهرات وملاحقة الأحزاب وفتح الأسواق فأرسل على المشائخ لهذا الغرض ، ولكنهم أبدوا عدم استطاعتهم الوقوف امام هذا الزخم الشعبي الهائل لأن النجف كلها مشتركة فيه ولا قِبَلَ لهم امامه وهددوهم بالحبس وفعلاً حاولوا ان يوقفوا هذا المدّ ولكنهم وما ان ظهر بعضهم في الميدان وفي السوق وأراد ان يتكلم بما يفيد وقف الأحزاب والتظاهر حتى لاحقتهم الجماهير فولّوا هاربين ، فعمل المتصرف (المحافظ) على احتجاز الشيوخ ونقلهم الى شتائه (عين التمر) ـ وهي منطقة بعيدة في بادية كربلاء ـ وكان من بينهم **الشيخ كردي بن عطية ابو گلل ، والحاج گنيوي العكايشي ، وشاكر شربة ، وراضي الحاج سعد الحاج راضي ، ونوري السيد سلمان ، والسيد حسين جريو**وغيرهم .

وارتأت الحكومة إزاء هذا الموقف المتفجر وخوفاً من امتداده الى المدن العراقية الاخرى ان تبعث برسلها الى النجف فجاء وفد فيه الوزير **عبد الرسول الخالصي والشيخ محمد العربيي**

وآخرون لمقابلة رجال الدين وبحث مطاليب النجف وتهدأة الأحوال ووضع حد للاضراب والتظاهر ، وعلمت اللجنة المشرفة بوصول هذا الوفد الحكومي فعملت على افشال مهمته مهما كلف الأمر وهنا لعب الأخ المرحوم الشيخ احمد الجزائري دوراً مهماً إذ أثّر على المرحوم والده الشيخ عبد الكريم الجزائري ، وعمه المرحوم الشيخ محمد جواد الجزائري ، قبل وصول الوفد لمقابلتهما ، ووصل الوفد الى (برّاني) الشيخ الجزائري وكان يغصّ بالعلماء انتظاراً لهذه المقابلة . فاتخذت اللجنة المشرفة مكاناً بعيداً عن (البرّاني) تسمع وترى كل ما يجري من حديث ومناقشات ، وتكلم الخالصي عن النجف الأشرف ومكانتها ودور رجال الدين فيها وانها عاصمة العلم والدين وقال : صحيح ان الحكومة مقصّرة في حقّها من حيث العمران وان الحكومة جادة في الانصراف بجدية الى إقامة مشاريع اصلاحية . . . وهنا قاطعه الشيخ الجزائري قائلاً :

الى ان يعود الماء في النهر جارياً
وتخضر جنباه تموت الضفادع

فضحك الخالصي والوفد المرافق له ، ولكن العلماء لم يجاروه في ذلك ، فعاود الحديث مذكّراً ان شرذمة خارجة على القانون هي التي تعيث فساداً ـ وهنا رن جرس الهاتف ـ وإذا بوزير المعارف (خليل كنه) فتحدث معه الشيخ عبد الكريم الجزائري ولما عرف الشيخ محمد جواد الجزائري ان المتحدث هو (خليل كنه) أخذ الهاتف من أخيه وأخذ يتكلم معه بصوت عال ـ وكان المرحوم الشيخ محمد جواد ثقيل السمع وعالي النبرة ـ قائلاً :

«اسمع ياخليل كنه لا أنت ولا حكومتك تستطيع ان تكسر شوكة النجف وسوف لن يذهب هدراً دم أبنائنا الذي قُتلوا ببنادق جلاوزتكن. .» وأراد أن يكمل قوله :

. . . . لعنكم الله فخطف سماعة الهاتف منه الشيخ عبد الكريم وأكمل الحديث ، فقام الشيخ محمد جواد مغاضباً ومحاجاً !!

وتكهرب الجو وأسقط ما في يد الوفد فخرج يجرجر أذيال الخيبة ولم يكن حظه عند مقابلته لرجال الدين الآخرين بأحسن مما لاقاه في برّاني الشيخ الجزائري وهكذا عاد الى بغداد دون ان يحقق أي نتيجة .

واستمر الحال على ما هو عليه من اضراب شامل وتظاهرات حتى بلغت سبعة أيام متواصلة وهنا اجتمعت اللجنة المشرفة وقررت العمل وبسرعة لتطويق الخطوة القادمة للحكومة إذ رأت ان الضغوط ستستمر على النجف ورجال

الدين لكسر الأحزاب وعملت على ايفادي ممثلاً عنها الى بغداد للاجتماع بالسياسيين المعروفين وشرح أوضـاع النجف وطلب دعمهم ومساعدتهم وشد أزر رجال الدين في موقفهم الشجاع ، وسافرت الى بغداد واجتمعت أول وصولي بالمرحوم الشيخ محمد مهدي كبه ـ رئيس حزب الاستقلال ـ وشرحت له الوضع من كل جوانبه فأشار الى انه سيدعو الى لقاء بعض الشخصيات السياسية عصر اليوم وطلب مني أن أحضر هذا اللقاء لنرى ما يمكن عمله حيال ما جئت من أجله .

والحق انني وجدت أوساط بغداد السياسية والشعبية ولا حديث لها غير موقف النجف البطولي وصمودها الرائع أمام قوة الحكومة الغاشمة ، ولما تزل إذاعة (صوت العرب) ولا شغل لها غير أحداث النجف ومظاهراتها وتحديها لحكومة بغداد وكل تعليقات أحمد سعيد عنها ، فالتغذية الاعلامية كانت مستمرة إذ أن اللجنة أخذت على عاتقها ان توالي ايصال اخبار النجف أولاً بأول الى مركز اعلامي في بغداد وهو يقوم في ايصالها الى اذاعة صوت العرب وغيرها من الاذاعات والصحف العربية .

المهم ان اللقاء انعقد عصر ذلك اليوم كما ذكرت في منزل المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في محلة الزويّة وكان في عصر يوم جمعة كما أتذكر وكان الحاضرون بالاضافة الى الشيخ كبه والشيخ الشبيبي ، الاستاذ صادق البصام فشرحت لهم حراجة الموقف في النجف والضغوط التي يتعرض لها العلماء الاعلام ثم ذكرت لهم الموضوع الذي جئت من أجله قائلاً : «ان النجف صامدة لوحدها حتى الآن ولا تستطيع ان تواجه الضغوط المتزايدة التي تمارسها الحكومة بارسال الوفود لوضع حد

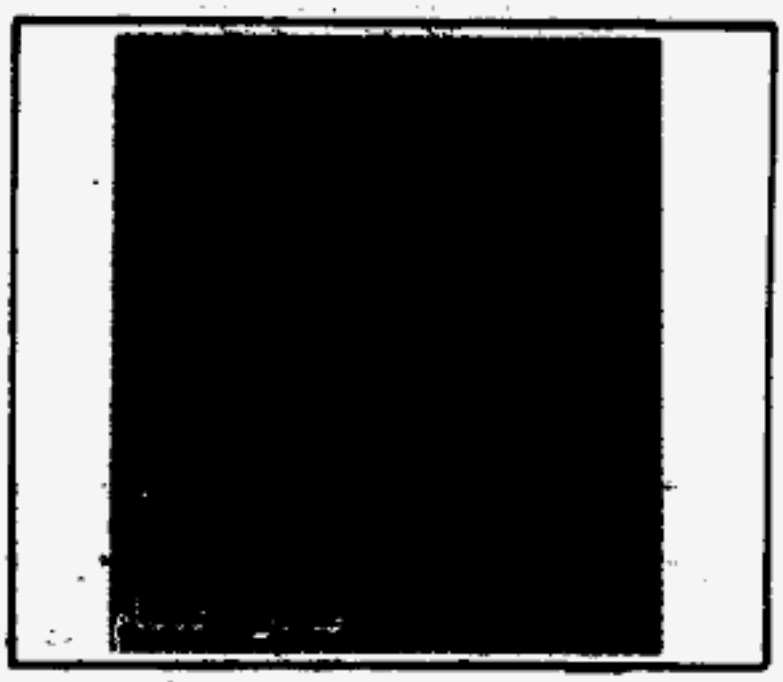

للأحزاب والتظاهر لذا جئت مبعوثاً من قبل اللجنة المشرفة على وضع النجف طالباً منكم أنتم السياسيون ان تزودوني برسائل موقعة منكم وموجهة الى رجال الدين الاعلام لتأييد مطالبهم وتحثونهم على مواصلة الجهاد وعدم الاستجابة لضغوط الحكومة حيث ان كل العراقيين ومعهم الساسة ينظرون اليكم بعين الاكبار ويقفون ورائكم انتم أعلام الهدى ورسل الجهاد» وتوسلت قائلاً : ان هذه هي الفرصة الوحيدة أمامنا لابقاء الأحزاب والتظاهر قائماً وإلاّ سينهار كل شيء أمام الضغوط. وما ان انتهيت من كلامي حتى خيّم الصمت على الجلسة وأخذ كل ينظر الى وجه الآخر وقطع الصمت بأن قام الشيخ الشبيبي وأخذني من يدي بعيداً وقال لي : انت يا ولدي دون شك مطلوب القبض عليك ومراقب حتماً وما يدريك لو أعطيناك رسالة مشتركة أو عدة رسائل ربما تقع في أيدي الشرطة ، وبالتالي يصعب موقفك ونحن نحرج لذا أرتأي أن تعود فوراً الى النجف وتبلغ رجال الدين رسائل شفهية باسمنا في دعم موقفهم وتثمينه فكان ردّي الفوري : انه كان بامكاننا ان نفعل ذلك ونحن هناك في النجف بافتعال هذه الرواية دون ان أكبّد نفسي مشقة ومخاطرة المجيء الى بغداد في مثل هذه الظروف ، ثم

أخذني من يدي وعاد بي الى الشيخين الآخرين وقال لهما رأيه فأيّداه وزادا في الشرح وتلطفوا معي ، والمهم انني خرجت من الاجتماع بدون جدوى[1] وعدت الى النجف في نفس اليوم فوصلتها في منتصف الليل فأخبرني أهلي ان وفداً وزارياً برئاسة ضياء جعفر قد حضر النجف نهار ذلك اليوم والتقى بعلماء النجف وأن أمراً قد صدر من رجال الدين الى الأهالي بفك الأحزاب ورفع التظاهر وفتح الأسواق ، وهكذا عاد الناس الى أعمالهم اليومية بعد اضراب وتظاهر استمر ثمانية أيام .

وكنت مطلوباً من الحكومة ولما كان بقائي في النجف خطر يتهددني عدت الى بغداد والتقيت ثانية بالشيخ محمدمهدي كبة وشرحت له الموقف لعله وأصحابه يتداركون ما يمكن تداركه ولما فشلتُ ذهبت الى كربلاء وسلمتُ نفسي الى المتصرف (المحافظ) الذي أمرَ بحجزي مع شيوخ النجف في كربلاء بعد ان تم جلبهم من شتاتة (عين التمر) ووضعوا في دائرة كمرك كربلاء في حي الحسين ، وما ان دخلتُ عليهم وفي يدي الحديد (الكلبشة) حتى هبّوا واقفين قائلين : «هاجابوك! يا أبو المصايب والبلاوي!!» وقاطعني الجميع عدا المرحوم السيد نوري السيد سلمان الذي أفرد لي مكاناً في غرفته الى أن هُيئت لي غرفة خاصة اعتقلتُ فيها ثم أطلق متصرف كربلاء سراح الشيوخ بعد حين ومنح كلاً منهم قطعة أرض في حي السعد في النجف .

أما أنا فأحالوني الى المجلس العرفي العسكري في الديوانية الذي حكم عليّ بكفالة شخص ضامن بمبلغ ألف دينار (والكفيل هو المرحوم عبد صبار شقيق المحامي موسى صبار) .

وهكذا سارت أمور العراق السياسية تتلاحق أحداثها الجسيمة إذ سرعان ما تشكلت جبهة الاتحاد الوطني من الأحزاب العراقية التي مهدت لقيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م ولكل حادث حديث .

احمد الحبوبي

---

(١) أشاد الاستاذ الحبوبي من قبل الى المشاركة الكبيرة لفرع حزب الاستقلال في النجف في حديثه عن تظاهرات الاحتجاج ضد الحكومة والعدوان على مصر الشقيقة ، وفيما يبدو ان الصيغة الحزبية لم تتبلور بعد على صعيد التنظيم والممارسة ولعل احسن مثال على ذلك غياب التنسيق بين مركز الحزب في بغداد ممثلاً بشخص الشيخ كبة وبين فرع الحزب في النجف ممثلاً بأحمد الحبوبي وتبرز تلك الظاهرة في الحوار بينهما في هذا اللقاء والذي أريد التوصل اليه ان غالبية العراقيين كانوا يندفعون للانضمام في تلك الأحزاب بدافع الحماس والشعارات البرّاقة وربما الاندفاع وراء الأسماء الطنانة التي تدعو اليها وتقف ورائها وليسمح لي الاستاذ الحبوبي القول بأن حركة النجف البطولية الرائعة التي انتصرت فيها للعروبة والاسلام في مصر انما كانت بدافع الروح المؤمنة والنفوس التي جُبلت على الحرية ورفض الظلم والتسلط بفضل الارث الديني والتأريخي للجمهور النجفي ومثله مثل الجماهير العريضة في بلاد الدنيا التي تنضوي تحت ظل الزعامة الروحية في النجف الأشرف ، وبفضل تربية العلماء الأعلام الذين ضحوا في سبيل الدين والوطن وجهادهم المشرف ضد الغزاة حتى الأمس القريب في يوم الشعيبة (١٩١٤) وانتفاضة النجف (١٩١٨) وثورة العشرين (١٩٢٠) . وانه لمن الأسف الممض ان تستثمر تلك الجهود الخيرة لغير من ضحى لأجلها واستشهد في سبيلها وان يستبد الخوف بأبناء المبادىء السامية والتضحيات الجسيمة فيقتطف جنى الاستقلال غير زارعه ويتولى زمام الأمر أدعياء العروبة والوطنية .

(الموسم)